بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
العدد ١ (خريف وشتاء ١٤٣٠-١٤٣١ هـ. ق/ ١٣٨٨ هـ. ش)، ص ١٠٧ - ١٢٠

البعد الجغرافي في شعر دعبل الخزاعي
أو
رحلات دعبل وأسفاره[١]

عبدالرسول غفاري*

الملخص:

حياة دعبل الخزاعي زاخرة بالأحداث والمواقف الأدبية والعلمية والتأريخية، ويعدّ شاعرنا الخزاعي في نتاجه الأدبي أحد عمالقة الشعر العربي في القرن الثاني والثالث الهجريَّين. إنه عاصر خمسة من ملوك بني العباس، كما التقى عشرات الأمراء والأدباء، وفي هؤلاء قال الشيء الكثير من المدح والهجاء. وقد وجدنا في سيرته أنه قصد جهات كثيرة، ورحل إلى بلدان عديدة آنذاك، وإن سفراته ورحلاته امتدت إلى أكثر من سبعة عقود من الزمان. وله في كل بلد زاره أو رحل إليه نتاج أدبي رفيع، لكن من المؤسف جدّاً أن البحوث والدراسات التي هي بأيدينا حول دعبل لم تتعرّض لنتاجه الأدبي ذاك. من هنا حاولت في هذا البحث أن أساهم نتاجات من سبقني لإكمال تلك الدراسات الأدبية، وأبحث عن سفرات الشاعر، وبالخصوص سفره إلى مناطق شرق العالم الإسلامي والمتمثلة في بلاد العجم، وما قاله دعبل فيها من شعر.

وإنني أخص بالذكر من تلك المناطق: بلاد العجم والدينور وبلاد سمنجان من أعمال طخارستان التابعة لخراسان وبلاد الري وبلاد جرجان وبلاد نيشابور وبلاد خراسان، ثم قم وشهرزور.

أما منهج البحث الذي اتبعته في هذا المقال، فهو ذكر البلد أولاً، والتعريف به من حيث الموقع الجغرافي بشيء من الاختصار ثانياً، والإشارة إلى المصدر الذي استقيت منه تلك المعلومات المقتضبة ثالثاً. بعد ذلك ذكرت أهم حدث صادفه شاعرنا الخزاعي عند نزوله ذلك البلد، وما قال فيه من شعر.

فالبعد الجغرافي في شعر دعبل إنما هو استقراء عام في نتاج الشاعر ـ في تلك المناطق والبلدان ـ وحلقة من حلقات سيرته وحياته المفقودة.

المفردات الرئيسية: أسفار دعبل، بغداد، بلاد العجم، بلاد خراسان، الإمام الرضا عليه السلام، المأمون، الأمين

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٧/٢/٢٤هـ .ش (٢٠٠٨/٥/١٣م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٨/١/٢٩ هـ. ش (٢٠٠٩/٤/١٨م).

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان

المقدمة

من الكوفة بيئة الشاعر ومهده الأوّل

يُعدّ دعبل بن علي الخزاعي أعجوبة عصره، وفريد دهره، ورحّالة زمانه. جاب العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وزار العديد من المدن والأمصار، وتعرّف على النوابغ من الشعراء والوزراء والكتّاب والقضاة والولاة، واستفاد الكثير في رحلته هذه من النوادر والأخبار.

ولأسفاره تلك أسباب ودواع عديدة يمكن أن نجملها بالنِّقاط الآتية:

أولاً. كانت أسفاره تعد ضرباً من التبليغ السياسي في الدعوة لأهل البيت عليهم السلام؛

ثانياً. استعمل الشعر وسيلة في نشر فضائل أهل بيت العصمة عليهم السلام؛

ثالثاً. جعل وسيلته الأولى شعره وهدفه الأسمى هو تعرية ملوك الجور وفضحهم على رؤوس الأشهاد؛

رابعاً. جاب البلدان متحدّياً ملوك بني العباس حاملاً خشبته على كتفه منذ خمسين سنة ـ على حدّ مقولته الشهيرة ـ فهو مستميت في الولاء للأبرار الأولياء، وهذا يعني أنه كان صلب العقيدة راسخ الإيمان قوي الجنان؛

خامساً. الودّ والألفة ومرافقة الأحبّة جعلته يلبّي دعوات إخوانه، ويفد عليهم ـ وهم في تلك الأمصار ـ كما هو ماثل لدينا في سفره إلى الشام وإلى مرو وإلى طخارستان حيث في الشام كان العلوي الذي طلب الوفادة إليه، وفي مرو وطخارستان كان الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، وفي جرجان كان صديقه مسلم بن الوليد، وفد عليه رجاء رفده ونواله...؛

سادساً. كانت بعض أسفاره تمثّل منهجاً ووسيلة للفرار من يد الغدر التي تطاولت عليه؛ كسفره إلى المغرب الأقصى، وسفره إلى أسوان ـ ثانية ـ هروباً من المعتصم العبّاسي، وسفره إلى الأهواز ثم السوس هروباً من مالك بن طوق التغلبي وإسحاق بن العباس؛

سابعاً. لم تكن أسفار دعبل وتطوافه في البلدان لأجل التكسّب بشعره ـ كما يصوّره لنا الأصبهاني ـ ولم تكن رحلاته تلك وشعره لإخافة الناس، كما يدّعيه صاحب *الأغاني*، حيث نقل عن أبي خالد الخزاعي الأسلمي قوله لدعبل: «**ويحك! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرك كلّه شريدٌ طريد هارب خائف. فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشّرّ عن نفسك!**» (الأصبهاني، د. ت، ص ١٢٥)، بل كانت أسفاره وما جادت به قريحته هنا وهناك من هجو إنما لفضح خصومه. انظر إلى جوابه لأبي خالد الخزاعي:

> **إني تأملت ما تقول، فوجدت أكثر الناس لا يُنتفع بهم إلّا على الرَّهبة، ولا يبالي بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه. ولَمَن يتّقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك من تشريفه. وعيوب الناس أكثر من محاسنهم. وليس كلّ من شرَّفته شَرُف، ولا كلُّ من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ـ ولم يكن ذلك فيه ـ انتفع بقولك. فإذا رآك قد أوجعت عِرض غيره وفضحتَه، اتّقاك على نفسه، وخاف من مثل ما جرى على الآخَر...** (السابق).

من هذا النص يتّضح أن دعبل يجنح إلى الكناية، فيكنّي عن ذوي السلطان والقوّاد والوزراء بقوله: «**وعيوب الناس أكثر من محاسنهم، وليس كلّ من شرَّفته شرف...** إلخ». فهو وإن لم يُسمِّ أحداً منهم إلّا أن قصْده هو تلك الشريحة المتسلّطة على رقاب الناس.

إذا عرفنا حقيقة هذه الأسفار وما انطوت عليها من أسرار، استطعنا أن نعطي صورة متكاملة الأبعاد عن دعبل بن علي الخزاعي، والنشاط السياسي الذي مارسه آنذاك.

بدأ شاعرنا يتألّق نجمه في سماء الكوفة، معقل التشيّع ومهد الحضارة والأدب، ومركز الأحزاب والمذاهب، ومنشأ الخصومات والمنازعات، وموطن القبائل العربية من قحطانيين ونزاريين، قبائل هاجرت من الحجاز واليمن.

إنها الكوفة التي كانت في الأمس قبلة العالم الإسلامي، وعاصمة الخلافة الراشدة في زمن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب والإمام الحسن عليهما السلام. في هذه البيئة المتميّزة بمناخها ومائها وشيوخها وعلمائها وعقائدها نشأ وترعرع دعبل الخزاعي، حتى ساد أقرانَه من الشعراء والأدباء، وعُرف بوحيد دهره؛ وحقاً لو قيل: «**إن الشعر خُتم بدعبل**» (الأصبهاني، د.ت، ص ١٢٥).

دعبل في بغداد

كانت الكوفة المهد الأول للشاعر، حيث أمضى فيها أيّام شبابه، وترعرع بين أقرانه من الأدباء إلى أن قال:

أيـــن الـــشبابُ وأيّـــة ســـلكا لا، أيــن يطلــب؟ ضــلّ مَــن هلكــا

إلى آخر الأبيات.

وقد سمعها الرشيد، فطرب لها وتعلّق بناظمها قبل أن يراه؛ فسأل عنه، فقالوا: شاعر من خزاعة اسمه دعبل. فأرسل غلامه إلى الكوفة يستقدمه، وقد حمل إليه هدية نفيسة ونقوداً.

دعبل الشاعر ـ وهو العالم بأيام العرب وطبقات الشعراء، ثم كان من أبرز شعراء عصره ـ إذا استثنينا أدبه وشعره، وجدناه عالماً من علماء الكلام والتاريخ واللغة والنقد... وقد اتّصف بجرأة وحماسة وعقيدة صلبة لا يساوم عليها مهما كانت الإغراءات والدوافع؛ لذا تراه يصرّح بمذهبه الولائي ونزعته تجاه أهل البيت، فيقول:

أنّــى يكــون ولــيس ذاك بكــائن يَــرِث الخِلافــةَ فاســقٌ عــن فاســقِ

إن كــانَ إبــراهيمُ مــضطلعاً بهــا فلتــصلُحَن مِــن بعــده لِمُخــارقِ

ومخارق، هو أبو المهنإ بن يحيى الجزار، أستاذ الغناء في عصره، وكان من أحسن الناس صوتاً. وقد أُعجب به الرشيد العباسي حتى أقعده مرّة على السرير معه وأعطاه ٣٠ ألف درهماً. كان مملوكاً لعاتكة بنت شُهدة بالكوفة، وهي التي علّمته الغناء والضرب على العود وباعته. فصار إلى الرشيد، فأعتقه وأغناه وكنّاه بأبي المهنإ.

وفي البيتين تعريض بإبراهيم بن المهدي الخليفة العباسي المخلوع الذي تصدّى للخلافة العباسية ببغداد لّما كان المأمون بخراسان، وقد عهد البيعة إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

احتلّ دعبل مكانة سامية ببغداد عندما استوطنها[1]. فقد كان مقرّباً للرشيد فترة غير قصيرة من الزمان، وبها تعرّف على كبار الوزراء والقوّاد والأمراء والقضاة، كما شارك في مجالسهم وطربهم، ومدح الكثير منهم وهجا طائفة أخرى، متّخذاً مذهب أهل البيت درعاً واقياً له وحصناً يلوذ به.

وفي بغداد اهتدى إليه شعراء كأبي نواس ومسلم بن الوليد ـ صريع الغواني ـ وأبي تمّام وأبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة وأخيه أبي السمط، وطائفة من شعراء آل أبي أمية. هؤلاء وغيرهم من الكتّاب والوزراء كالمبرّد ومحمد بن عبد الملك الزيات أَنِسُوا بالشاعر الخزاعي وكسبوا ودّه، ورفعوا من منزلته واستفادوا من أدبه وأخباره.

---

١. لما استقدم الرشيد دعبلاً، ترك شاعرنا الكوفةَ واستوطن بغداد، فكانت دارَ إقامته؛ أما تشرّده، فلم يقع إلّا بعد مطاردة السلطة العباسية إياه.

ولدعبل أخبار وطرائف كثيرة وهو ببغداد. منها ما جرى بينه وبين أبي سعد المخزومي ببغداد:

روى علي بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني إسماعيل بن إبراهيم ابن ضمرة الخزاعي، فقال لي: إني سألت دعبلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت. فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن! فيها أخبار وغريب، فليكنْ معك رجل يقرؤها علي وأنت معه، فيكون أهونَ علي منك. فقلت له: لقد اخترتُ صديقاً لي يقال له علي. فقال: أمِن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: من أي العرب؟ قلت: من بني شيبان. قال: شيبانُ كندة؟ فقلت: بل شيبانُ ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أُسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنه رجل يَحتمل، ويحب أن يسمع ما له وعليه. فقال: في مثل هذا رغبةٌ، فأتني به.

فصرنا إليه، فلمّا لقيه قال: قد أخبرني عنك أبوالحسن بما سُررتُ به: أن كنت رجلاً من العرب تُحب أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تغبن. فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

مـــن أي ثنيّـــة طلعـــت قـــريشٌ وكـــانوا معـــشراً مُتَنبِّطينـــا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي! ثم قال: لعنه الله وانتقم منه! ـ يعني أبا سعد المخزومي ـ دسّه والله في هذا الشعر. وضرب بيده إلى سكّين كانت معه، فجرّد البيت بحدّها ـ أي حكّه ـ، فمحاه من القصيدة. ثم قال لنا: أحدّثكم عنه بحديث طريف:

جاءني يوماً ببغداد أشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يدي صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل عليّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلت له: كذبتَ. فقال ـ وهو عارف بأبي سعد ـ: بلى والله! يا مولاي.

فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي، وأذنت له في الدخول، وجعلت أحمد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح، وكان الابتداء منه.

فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور. فأبديت له مثل ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحتُ والله حاسداً لك. قال: على ماذا يا أبا علي؟ فقلت: بسبقك إياي إلى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوىً عندك. فقلت: قل ما أحببت. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلّا ففي منزلي شيء مُعَدّ. فسألتُ الغلمان، فقالوا عندنا: قِدر أُمسية. فقال: غاية واتفاق جيد. فهل عندك شيء نشربه، وإلّا وجّهت إلى منزلي، ففيه شراب مُعدّ؟ فقلت له: عندنا ما نشرب.

فطرح ثيابه وردّ دابّته وقال: أحبّ ألا يكون معنا غيرنا. فتغدّينا وشربنا. فلما أن أخذ الشراب منا قال: مُر غلامَيك يغنّياني. فأمرت الغلامين، فغنّياه، فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرّني وأطربني معه. ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرهما بأن يغنّياني في هجائك لي ـ وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منّي في هجائي قد حفِظا منه أشياء ولحّناها ـ. فقلت له: سبحان الله! يا أبا سعد، قد طَفئتِ النائرة، وذهبتِ العداوة بيننا، وانقطع الشرّ، فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلّا فعلت، فليس يشقّ ذلك عليّ، ولو كرهتُه لما سألتُه. فقلت في نفسي: أتُرى، أباسعد يتماجن عليّ؟ يا غلمانُ، غنّوه بما يريد. فقال: غنّوه:

يـــا أبـــا ســـعد قوصَـــرة زانـــي الأخـــت والمـــرة

فغنّوه، وهو يحرّك رأسه وكتفيه، يطرب ويصفّق.

فما زلنا يومنا مسرورين. فلما ثمل، ودَّعني وقام فانصرف. وأمرت غلماني، فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إلي بقطعة قرطاس وقال: دفعها إلي أبوسعد المخزومي، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

لِدعبلٍ منّةٌ يمنّ بها فلستُ حتّى الممات أنساها
أدخلَنا بيته فأكرمَنا ودسّ بامرأته فَـ نِـ كْـ نـ اها

فقال: ويلي على ابن الفاعلة! هاتوا جلداً ودواة. قال: فردُّوها عليّ. فعُدت إلى هجائه، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلّم علي، ولا سلّمت عليه (الأصبهاني، د. ت، ص ١٦٧).

أقول: مهاجاة دعبل لأبي سعد المخزومي وأخبارهما في بغداد كثيرة، وقد نقل أبو الفرج الأصبهاني جملة منها.

ثم لدعبل أخبار أُخر وشعر في عبد الله بن طاهر ببغداد. من ذلك قوله في عبد الله:

جئت بلا حُرمة ولا سبب إليك إلّا بحرمة الأدب
فاقضِ ذمامي فإنني رجلٌ غيرُ مُلحّ عليك في الطّلب

قال أبوحفص النحويّ مؤدِّب آل طاهر: فانتعل عبد الله، ودخل إلى الحرم، ووجّه إليه بصُرّة فيها ألفُ درهم، وكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برّنا ولو انتظرت كثيرَه لم يقلِلِ
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأنّنا لم نفعلِ

(الأصبهاني، د. ت، ص ١٨٤).

هذا طُرف من أخبار دعبل في بغداد برواية الأصبهاني، ولا يخفى ـ إن صحّت ـ أنها كانت تمثّل حياة الشباب، ودور عنفوان الشاعر ورشده الأدبي، ولكن ينبغي أن نشير إلى أنّ هذه الرواية و أمثالها لايمكن أن تكون صحيحة؛ لأن الإمام الرضا عليه السلام قال لدعبل: «**مرحباً بناصرنا بيده ولسانه**» (القمي، ١٣٥٩هـ، ص ٤٤٤)، وأجلسه إلى جانبه في مدينة طوس (المصدر نفسه)، فهل يمكن أن يقول الإمام الرضا لشارب الخمر: «ناصرنا»؟!

دعبل في سمنجان

سمنجان بلدة من أعمال طخارستان وراء بلخ وبغلان، بها شعاب كثيرة، ونزحت إليها قبائل عربية في أوّل الفتح الإسلامي، منهم عرب تميم.

وكانت سمنجان تابعة إدارياً لخراسان. ولي دعبل سمنجان للعباس بن جعفر بن الأشعث الخزاعي، وكان العباس والياً على خراسان من قبل هارون الرشيد من سنة ١٧٣ إلى ١٧٥هـ. ثم ولي الفضلُ خراسان بعد أبيه، فعزل دعبلاً من سمنجان.

كان دعبل مؤدِّباً للفضل بن العباس ومعلّمه، وقد مدحه بقصائد عديدة، ولكن لم ينصفه الفضل ولم يحسن إليه، فما كان من الشاعر إلا أن يهجوه بمُرّ الكلام.

بعدما انفصل الشاعر من عمله في سمنجان، عاد إلى وطنه ببغداد حتى وفاة الرشيد، وما أن حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون حتى ترك دعبل بغداد متّجهاً مع أخيه إلى الحجاز.

أدّى شاعرنا دعبل فريضة الحج، كما يظهر أنها حجّة الإسلام لّما كان بصحبة أخيه رزين، ومن مكّة ذهبا إلى مصر حيث المطّلب يتولّاها. وكان ذلك سنة ١٩٨ هـ، وهو عام الفتنة بين الأمين والمأمون والتي ذهب ضحيتها محمد الأمين على يد القائد طاهر بن الحسين الخزاعي.

عن الحسن بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال: حدّثني دعبل قال: حججت أنا وأخي رَزين وأخذنا كُتباً إلى المطّلب بن عبد الله ابن مالك وهو بمصر يتولّاها. فصرنا من مكّة إلى مِصر (الأصبهاني، د. ت، ص ١٥٩).

لم تذكر المصادر التي بأيدينا أكثر من ذلك ؛ لذا إن المدة التي قضاها شاعرنا في الحجاز لأداء حجّة الإسلام لاتتعدى الشهرين، كما هو المعروف في تلك الأزمان.

دعبل في الدينور

أدّى شاعرنا مناسك الحج، ثم سافر إلى مصر مع أخيه رزين، وبعدها قفل راجعاً إلى العراق، إلا أنّه لم يمكث طويلاً في العراق حتى شدّ الرحال إلى بلاد الفرس ثانية.

الدينور من أعمال الجبل، وللشاعر دعبل هنا أكثر من حكاية. وربما نزل في هذه الأماكن مراراً ؛ لكونها منازل يقف عندها المسافر القادم من العراق في طريقه إلى خراسان.

وفي الدينور يصطدم الخزاعي دعبل مع بعض الزبيريين، فيشكوه إلى القاضي ويتعدّى عليه بفرية واضحة البطلان، فيسخر منه دعبل ويعنّف القاضي في آن واحد.

عن ابن مهرويه قال: حدّثني أبي قال: قدِم دعبل الدينور، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام كلام وعربدة على النبيذ. فاستعدى عليه عمرو بن حميد القاضيَ، وقال: هذا شتم صفية بنت عبد المطّلب. واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دعبل وبعث القاضي إلى دار دعبل فوكّل بها وختم بابه فوجّه دعبل إليه برُقعة فيها:

«ما رأيت قطُّ أجهل منك إلّا مَن ولّاك ؛ فإنه أجهل. يقضي في العربدة على النبيذ، ويحكم على خصم غائب، وهل يقبل عقلك أني رافضي أشتم صفية بنت عبد المطّلب؟! سخنت عينك! أفمِن دين الرافضة شتمُ صفية؟!» قال أبي: فسألني القاضي عن هذا الحديث، فحدّثته، فقال: «صدق والله دعبل في قوله، لو كنتُ مكانه لوصلته وبررته» (الأصبهاني، د. ت، ص ١٨٣).

الدينور جغرافياً

ذكر أرباب المعاجم أن الدينور مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين (الحموي، ب ١٩٧٩م، ٥٤٥). «**وقرميسين بلد جليل من كور الجبل، بينه وبين آمد ثلاث مراحل... أصلها بالفارسية كرمانشاهان، فعرّب**» (المصدر نفسه). وبين الدينور وهمدان نيّف وعشرون فرسخاً، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل، والدينور بمقدار ثلثي همدان.

أما الجبل، فهو اسم يشمل البلاد الواقعة ما بين إصبهان إلى بلاد الري. وكانت هذه البلاد سابقاً تسمّى بـ«عراق العجم» واليوم تُعرف بـ«أراك»، وهي منطقة واسعة جميلة تعتبر مصيفاً لما جاورها من البلدان، وكذلك ملجأ لمن أراد أن يتوارى عن السلطة حين يشتد عليه الطلب .

ولا يخفى أن اسم «الجبل» الذي يطلق عليه سابقاً يشمل المناطق الجبلية والمدن الممتدة من الأهواز جَنوباً إلى كرمانشاه فهمدان، ثم أراك فقم، ثمّ الرّي... وهي المناطق الجبلية الحدودية التي تفصل بين العراق وإيران، وتسمّى هذه السلسلة بجبال زاگرس، وهي تمتد من أقصى الشمال والشمال الغربي في إيران إلى أقصى الجنوب والجنوب الغربي منها.

وهذه المنطقة الجبلية قد عرفها شاعرنا دعبل الخزاعي. فقد رحل إليها مراراً، وقطن فيها مدّة، وتجوّل في مدنها وربوعها فترة ليست بالقصيرة، حتى أصبح يعرف ساكنيها ومن رحل إليها أو استوطنها من القبائل العربية والشخصيات والقضاة . وكثيراً ما كان يلجأ دعبل إلى منطقة الجبل متخفّياً فيها عندما تلاحقه السلطة العباسية، وخاصة فترة حكم المعتصم العباسي .

دعبل في شهرزور[١]

حلّ دعبل في مدينة شهرزور في أواخر حياته وقد ناهز التسعين. روى الأصبهاني عن علي بن الحسن قال: حدّثني ابن مَهرويه قال: حدّثني أبو ناجية ـ وزعم أنه من ولد زهير بن أبي سُلمى ـ قال: كنتُ مع دعبل في شهرزور، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قينة محسنة. فغنّت الجارية بشعر دعبل:

أيـــن الـــشبابُ وأيّـــة ســـلكا   لا، أيـن يطلـب؟ ضـلّ مَـن هلكـا

إلى آخر الأبيات.

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال: «**قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة**» (الأصبهاني، د.ت، ص ١٢٧).

دعبل في الرّي

عن ابن مهرويه قال: حدّثنا محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبل بن علي الرّي في أيام الربيع، فجاءهم ثلج لم يَرَوا مثله في الشتاء. فجاء شاعر من شعرائهم، فقال شعراً وكتبه في رقعة و هو:

جاءنـا دعبـل بـثلج مـن الـشعر   فجـادت سماؤنـا بـالثلوج

نـزل الـرّيّ بعـدما سـكن الـبردُ   وقـد أينعـتْ ريـاض المـروج

فكـسانا بـبرده ــ لا كـساه اللهُ! ــ   ثوبـاً مـن كُرسـف[٢] محلـوج

قال: فألقى الرقعة في دهليز دعبل. فلما قرأها، ارتحل عن الرّي (الأصبهاني، د.ت، ص ١٣٧).

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دعبل في جُرجان[٣]

تمرّ الأيام والسنون على شاعرنا الخزاعي ورفيقه مسلم بن الوليد ـ أقرب الناس إليه ـ وهما يشتركان في العسر والفاقة طيلة أيام شبابهما ولّما كانا في الكوفة. وقد شاءت المقادير أن يولّى مسلم على جرجان، فقصده دعبل رجاء نواله، فجفاه مسلم، وكان فيه بخل ـ كما قيل ـ ، فهجره دعبل وكتب إليه:

أبـا مَخلـدٍ إنّـا عقيـدَي مـودة   هوانـا وقلبانـا جميعـاً معـاً معـا

إلى آخر الأبيات (الأصبهاني، د.ت، ص ١٥٨).

---

١. «**كورة بين إربل وهمذان، أحدثها زور بن الضحاك، ومعنى «شهر» بالفارسية: المدينة**». (الحموي، ج ١٩٧٩م، ص ٣٧٥).

٢. الكرسف: القطن.

٣. جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. قيل: إن أول من أحدث بنائها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة. وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألّفه حمزة بن يزيد السّهمي. قال ياقوت: «**ولجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسناً من جرجان على مقدارها**». (الحموي، ب ١٩٧٩م، ص ١١٩).

دعبل في نيشابور[١]

لا يغرب عن البال أن طريق خراسان للعابر إليها يكون مروره بنيشابور وبالعكس، ويبدو أن الشاعر في إحدى سفراته إلى المأمون بخراسان قد أسمع الخليفة هجاء مما هرب منه. ففي رواية أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن أحمد الحكيم أنهما قالا: حدّثنا أنس بن عبد الله النبهاني قال: حدّثني علي بن المنذر قال: حدّثني عبد الله بن سعيد الأشقري قال: حدّثني دعبل بن علي قال: لمّا هربت من الخليفة، بتّ بنيشابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة. فإني لفي ذلك، إذ سمعتُ والباب مردود عليّ: السلام عليكم ورحمة الله! أُنج يرحمْك الله. فاقشعرّ بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم. فقال لي: لا تَرُع عافاك الله!؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق، فأنشدَنا قصيدتك:

مـــدارس آيـــات خلـــت مـــن تـــلاوة ومنزل وحي مُقفر العرصات

فأحببت أن أسمعها منك.

قال: فأنشدته إياها. فبكى حتى خرّ، ثم قال: رحمك الله! ألا أحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك ويُعينك على التمسّك بمذهبك؟ قلت: بلى. قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرتُ إلى المدينة، فسمعته يقول: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**عليّ وشيعته هم الفائزون**». ثم ودّعني لينصرف. فقلت له: يرحمك الله! إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل، قال: أنا ظبيان بن عامر (الأصبهاني، د. ت، ص ١٤٢).

دعبل في خراسان

من الأحداث السياسية المهمة في تاريخ الدولة العباسية هي ولاية العهد ومبايعة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بالخلافة من بعده. وفي ذلك أعدّ دعبل قصيدته التائيّة الخالدة، وقصد بها الإمام الرضا عليه السلام بخراسان لإنشادها بين يديه.

وفي كيفية الوفود على الإمام وإنشاد القصيدة عدّة روايات، وكلها في مضمون واحد. منها كما جاء في *أمالي* المرتضى عن محمد بن يحيى الصولي قال: لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخضرة، صار دعبل بن علي وإبراهيم بن العباس الصولي إلى الإمام الرضا عليه السلام، وكانا صديقين لا يفترقان، فأنشده دعبل:

مـــدارس آيـــات خلـــت مـــن تـــلاوة ومنزل وحي مُقفر العرصات

وأنشده إبراهيم بن العباس الصولي على مذهبهما قصيدة أوّلها:

أزالـــت عـــزاءَ القلـــب بعـــد التجلّـــد مـصـارعُ أولاد النبي محمد

قال: فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت.

فأما دعبل بن علي، فصار بالشطر منها إلى قم، فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم، فباع حصّته بمئة ألف درهم. وأما إبراهيم بن العباس، فلم يزل عنده بعضها إلى أن مات.

---

١. قال ياقوت: «**والعامة يسمونه نَشاوور؛ وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة. معدن الفضلاء ومنبع العلماء. لم أر فيما طوّفتُ من البلاد مدينة كانت مثلها. ومن الري إلى نيسابور مائة وستون فرسخاً، ومنها إلى سرخس أربعون فرسخاً، ومن سرخس إلى مرو ثلاثون فرسخاً. وكان مسلمون فتحوها في أيام عثمان بن عفان. و قيل إنها فتحت في أيام عمر على يد الأحنف بن قيس، و إنها انتقضت في أيام عثمان، فأرسل إليها عبد الله بن عامر، ففتحها ثانية**». (الحموي، هـ ١٩٧٩م، ص ٣٣١).

قال الصولي: ولم أقف من قصيدة إبراهيم على أكثر من هذا البيت.

ثم قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدّثني أبوالعباس أحمد بن محمد بن الفرات، والحسين بن علي الباقطاني، قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن، فأنسخه شعره في علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع. وقد كان تباعد ما بينه وبين أخي زيدان. فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها، وطالبه بمال وألحّ عليه وأساء مطالبته. فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمْه أن شعره في علي بن موسى بخطّه عندي وبغير خطّه. والله! لئن استمر على ظلمي ولم يُزل عني المطالبة، لأُوصلنَّ الشعر إلى المتوكل. قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس فأخبره بذلك. فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر إلى الواسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ الشعر منه وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء. فلما حصل عنده أحرقه.

قال الصولي: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلّا أبياتاً وجدتها بخط أبي قال: أنشدني أخي لعمّه في علي بن موسى الرضا عليه السلام من قصيدة:

كفى بفعال امرئ عالم ... على أهله عادلاً شاهدا
أرى لهم طارفاً مؤنقاً ... ولا يُشبه الطارفُ التالدا
يَمنُّ عليكم بأموالكم ... وتُعطون من مئة واحدا
فلا حَمَد اللهَ مستبصراً ... يكون لأعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعدد ... كما فضّل الولدُ الوالدا

(الشريف المرتضى، ١٩٠٧م، ص ١٣٠)

ولدعبل الخزاعي عدّة قصائد في مدح الإمام الرضا عليه السلام؛ بعضها قيل في محضر الإمام عليه السلام، وبعض آخر قيلَ في مناسبات مختلفة؛ كما أن بعض تلك القصائد حَمَلَ بين طيّات أبياته هجاء بني العباس الذين عاصرهم الشاعر، ابتداءً بالرشيد، ثم المأمون فالمعتصم، ثم الواثق فالمتوكّل، بل إنه هجا كلَّ خلفاء بني العباس وقوّادهم ووزرائهم، ورائيّته أدلّ شاهد؛ إذ رثى فيها الإمام الرضا عليه السلام وهجا ملوك بني العباس.

وقد استنشده إيّاها المأمون وهي:

تأسّفتْ جارتي لما رأت زَوَري ... و عدَّت الحلمَ ذنباً غير مُغتفَر
ترجو الصِّبا بعدما شابت ذوائبُها ... وقد جرت طَلَقاً في حَلبة الكبر
أ جارتي، إنّ شيب الرأس أقلقني ... ذكر المعاد وأرضاني من القَدَر

إلى آخر الأبيات.

أقول: هذه القصيدة نظمها دعبل لمّا وصل إليه خبر استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بالسّمّ على يد المأمون. وقد أورد القصيدة الشيخ الطوسي في أماليه بسنده إلى أحمد بن زيد بن أحمد، قال: حدّثنا محمد ابن يحيى بن اكثم أبو عبدالله، قال: حدّثني أبو يحيى بن أكثم القاضي، قال: أقدم المأمون دعبلَ بن علي الخزاعي، وآمنه على نفسه. فلمّا مثل بين يديه ـ وكنت جالساً بين يدي المأمون ـ

فقال له: أنشدْني قصيدتك. فجحدها دعبل وأنكر معرفتها. فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك. فأنشده الأبيات المتقدمة (الطوسي، ١٤١٤هـ. ص ١٠٠).

يبدو من الروايات والأخبار التي بين أيدينا أن دعبلاً رحل إلى خراسان مرّات عديدة. منها في زمن ولاية العهد عندما كان الإمام بخراسان؛ ومنها بعد استشهاد الإمام، وقد مرّ عليك عزيزي القارئ خبر وفوده على الإمام عليه السلام.

وأمّا بعد استشهاده، فذلك عندما تولّى طاهر بن الحسين الخزاعي ولاية خراسان للمأمون. قال فيه:

أيـــا ذا اليميـــنَين والـــدّعوتَين ... ومَـــن عنـــده العُـــرف والنّائـــلُ

أ ترضـــى لِمثلـــيَ أنّـــي مُقـــيم ... ببابـــــك مُطّـــــرحٌ خامـــــلُ

(دعبل، ١٣٨٢هـ، ص ٢٥٨؛ ابن عبد ربّه، ١٣٤٦هـ، ص ٢٠٨)

ذواليمينين هو طاهر بن الحسين، الخزاعي بالولاء، لقّب بذلك ـ كما قيل ـ عندما ضرب رجلاً بيساره فقدّه نصفين. انتدبه المأمون وهو في مرو لقتال أخيه الأمين. فحاصر بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ. فولّاه المأمون الموصل وبلاد الشام والمغرب، ثم تولّى خراسان، حيث قصده دعبل ومدحه. توفي بمدينة مرو سنة ٢٠٧هـ. وفيه يقول دعبل أيضاً:

طلعـــت قناتُـــك بالـــسعادة فوقَهـــا ... معقـــــودةً بلـــــواء مُلـــــكٍ مُقبـــــل

تهتـــزُّ فـــوقَ طريـــدتين كأنمـــا ... تهفـــو فينـــصبُها جَناحـــا أجـــدل

رَبـــح البخيـــلُ علـــى احتيـــالِ عِرضَـــه ... بنَـــدى يـــديك ووجهـــك المتهلّـــل

لـــو كـــان يعلـــم أنّ نيلَـــك عاجـــل ... تهفـــو فينـــصبُها جَناحـــا أجـــدل

(دعبل، ١٣٨٢هـ، ص ٢٢٦؛ ابن عبد ربّه، ١٣٤٦هـ، ص ١٤٤ و٣١٥)

ولّما توفي طاهر بن الحسين، خلَفه على ولاية خراسان ابنُه طلحة. وبقي سبع سنين والياً للمأمون، ثم تُوفي، ووليها عبد الله بن طاهر للمأمون أيضاً، وبعث إليه بيحيى بن أكثم يعزّيه عن أخيه ويهنّئه بولاية خراسان.

وفي ولايته قصده دعبل، وقال فيه مدحاً، ثم هجاه. و من ذلك قوله:

يـــا جَـــوادَ اللـــسانِ مـــن غـــير فعـــلٍ ... ليـــت في راحتَيـــك جـــودَ اللـــسان

عـــينَ مِهـــرانَ قـــد لطمـــتَ مـــراراً ... فـــــاتّقِ ذا الجـــــلالِ في مهـــــرانِ

عُـــرتَ عينـــاً فـــدع لمهـــران عينـــاً ... لا تدَعْـــــهُ يطـــــوف في العُميـــــان

(دعبل، ١٣٨٢هـ، ص ٢٩٩؛ ابن عبد ربّه، ١٣٤٦هـ، ص ١٩٢ و٢٥٠)

قوله: «عين مِهران لطمت...»، هو مثل يضرب للرجل الذي يكذب في حديثه، فيقال: «هو يلطم عين مِهران»[١].

ومن الحقّ بمكان أن يهجو دعبل آل طاهر وبالخصوص عبد الله بن طاهر؛ لانه تقوّل على دعبل وافتعل الأخبار ورماه بشتّى التهم، وهو الذي ألّب المأمون على دعبل. فابن طاهر لا يقلّ في عداوته عن إبراهيم بن المهدي ـ ابن شكلة ـ وأبي سعد المخزومي ومالك بن طوق وأبي خالد ويحيى بن أكثم... إنهم ـ جميعاً ـ استاؤوا من هجاء دعبل فيهم، وأعلنوا سخطهم وعداوتهم للشاعر.

---

١. وفي *مجمع الأمثال* للميداني: **وكم عين لمهران ... إذا ما اجتمعوا تلطمْ**. (الميداني، ١٣٤٢هـ، ص ١٦٥).

وعبد الله بن طاهر هو الذي اتّهم دعبلاً بأنه مدخول في نسبه. وصريحُ عداوته لدعبل حديثُه لمحمد بن موسى الضبّي ـ وقد تقدّم ذكره مختصراً وإليك تفصيله لما فيه من الفائدة ـ وكان نديماً لعبد الله بن طاهر ؛ قال: بينما هو ذات ليلة يذكّرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام، إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذكر دعبل. فقال: ويحك يا ضبّيّ، إني أريد أن أحدّثك بشيء على أن تستره طول حياتي. فقلت له: أصلحك الله! أنا عندك في موضع ظنّة؟ قال: لا، ولكنّي أطيب نفسي أن توثق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكن قلبي عندها، فأحدّثك حينئذ. قلت: إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال، فلا حاجة إلى إفشاء سرّه إلي. واستعفيته مراراً، فلم يُعفني. فاستحييت من مراجعته وقلت: فلْيرَ الأميرُ رأيه. فقال: يا ضبّيّ، قل والله! قلت: والله! فأمرّها علي غموساً مؤكدة بالبيعة والطلاق وكل ما يحلف به مسلم. ثم قال: أشعرت أن دعبلاً مدخول النسب؟ وأمسك. فقلت: أعزّ الله الأمير! أفي هذا أخذتَ العهود والمواثيق ومُغلظ الأيمان؟ قال: إي والله! فقلت: ولِمَ؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جذعه على عنقه، فليس يحد من يصلبه عليه، وأخاف إن بلغه، أن يقول فيّ ما يبقى عليّ عاره على الدهر. وقصاراي إن ظفرتُ به وأسلمتْه اليمنُ ـ وما أراها تفعل ؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرها والذابّ عنها والمحامي لها والمُرامي دونها ـ فأضربه مئة سوط وأثقله حديداً، وأصيّره في مطبق باب الشام. وليس في ذلك عوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقبى من بعدي.

فقلت: ما أراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهونُ عليه مما لم يكن. أتراه أقدمَ على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ؟! فقلت: فإذا كان الأمر كذا، فقد وُفّق الامير فيما أخذه عليّ.

قال الضبّيّ: وكان دعبل صديقاً لي. هذا شيء قد عرفته، فمِن أين قال الأمير إنه مدخول النسب؟ وهو في البيت الرفيع من خزاعة لا يتقدمهم غير بني أهبان. فلم يُجبه عبد الله بن طاهر بجواب مقنع سوى قوله: إنه كان أيّام ترعرع خاملاً لا يؤبه له، وكان ينام هو ومسلم بن الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره (الأصبهاني، د. ت، ص ١٧٩). يريد بهذا ان دعبلاً كان فقيراً خامل الذكر، ولكنه لا يخفى على ذوي النباهة والتحقيق أن هذا الافتراء والادعاء في نسب الشاعر لم يرد إلّا في كتاب *الأغاني* وعن عبد الله بن طاهر فحسب، فالناقل والمنقول عنه ينفخان في رماد، وإلّا فدعبل خزاعة كلها، وقد طار ذكره في جميع البلدان، وإنه من خزاعة لا يشك فيه اثنان إلّا المرجفون والحانقون من أمثال ابن طاهر.

وممّا يتاكّد لنا أنّ دعبلاً قصد خراسان في زمن الرشيد، ذلك أنّ بعض الاخبار اللافتة تنصّ على أنه مدح العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، لكن متى؟! وإذا تحقق صدق أخبار كهذه فنقول: إن العباس ولي خراسان سنة ١٧٣ هـ للرشيد ـ وكان من قبلُ على الخراج ـ وهذا مما يلزم القول إنّ شاعرنا الخزاعي مدح العباس في زمن ولايته على خراسان ؛ أي قبل أن يعهد المأمون للإمام الرضا عليه السلام بأكثر من عشرين عاماً. ولا ضير في ذلك ؛ فإن الشاعر قد يمّم خراسان مراراً عديدة.

وإذا لم يحتفظ لنا التاريخ بمدائحه في العباس، فهناك أبيات في ذمّه منها قوله:

أما في صُروف الدّهر أن ترجع النّوى ... بهم ويُدال القربُ يوماً من البُعد
بلى، في صروف الدهر كلُّ الذي أرى ... ولكنّما أغْفلن حظّي على عَمْد
فو اللهِ ما أدري بأيٍّ سهامها ... رمَتني وكلٌّ عندنا ليس بالمُكدي[1]؟!

١. أكدى الرجل: أخفق ولم يظفر بحاجته.

أ بالجيـد أم مَجْـرى الوِشـاح وإنّـني ... لَـأُتهِمُ عينَيهـا مـع الفـاحم الجَعْـد

(العلوي، ١٩٩٥م، ص ١٩٦)

وللشاعر هجاء في الفضل بن العباس الخزاعي، وكان الفضل قد ولي بلخ[١] وطخارستان من كور خراسان للمأمون. قال فيه دعبل:

ألا أيّهـا القطّـاعُ، هـل أنـت عـارفٌ ... لنـا حُرمـةً أم قـد نكَـرتَ التّحرُّمـا
فهلّـا بطـوسٍ والـبلادُ حميـدةٌ ... تَعـولُ الليـالي والمطـيَّ المرسَّـما
وأسـلَمتني مـن بعـدما صـوّح الكَـلا ... وغاضَـت بقايـا الحسي والمُـزن أنجَمـا
سـتعلمُ إن راجعـتَ نفسـك أو سَـخَت ... عـن الـضَّفّ يومـاً أيُّنـا كـان ألْوَمـا[٢]

(دعبل، ١٣٨٢هـ، ص ٢٧٦)

و كان دعبل مؤدِّب الفضل هذا.

دعبل في قم

أشرنا فيما تقدّم[٣] إلى خبر وفود دعبل على الإمام الرضا ﷺ بخراسان، وإنشاده القصيدة التائيّة فيه. فأمر له الإمام ﷺ بعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه. ثم إن دعبلاً استوهب من الإمام الرضا ﷺ ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه، فخلع جُبة كانت عليه، فأعطاه إياها. وبلغ أهل قم خبرها، فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل. فخرجوا عليه في طريقه، فأخذوها عنوة. ثم صالحوه على أن أعطَوه الثلاثين ألف درهم، وفَرْد كُمّ من بطانتها، فرضي بذلك.

ولدعبل في أهل قم هجاء، قال فيهم:

تلاشـى أهـل قـمّ واضـمحلّوا ... تَحُـلّ المُخزيـاتُ بحيـث حلّـوا
وكـانوا شـيّدوا في الفقـر مجـداً ... فلمّـا جـاءت الأمـوالُ ملّـوا

(الحموي، د ١٩٧٩م، ص ٣٩٨؛ ابن عساكر، ٢٠٠١م، ص ٢٣٧)

وقال فيهم أيضاً:

ظلّـت بقـمَّ مطـيّتي يعتادهـا ... همّـان: غربتهـا وبعـد المُـدلَج[٤]
مـا بـينَ عِلـج قـد تعـرّبَ فـانتمى ... أو بـين آخـرَ معـرِب مُـستعلج[٥]

(السابقان)

١. «من أجلّ مدن خراسان، وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة. تحمل غلتها إلى جميع خراسان وخوارزم. افتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان» (الحموي، آ ١٩٧٩م، ص ٤٨٠).

٢. الضّفّ: حلب الناقة بالكفّ؛ كناية عن الحرص.

٣. ينظر من هذا البحث: دعبل في خراسان.

٤. المدلج: من الإدلاج: سير الليل.

٥. العِلج: الرجل من كفار العجم؛ والمستعلج: الذي صار عِلجاً.

إذا استثنينا ذلك الموقف من دعبل تجاه أهالي قم، وهي حالة استدعت الشاعر أن يهجوهم؛ إذ قطعوا عليه الطريق وأخذوا منه جبّة الإمام الرضا عليه السلام المهداة إليه إلى أن ساومهم عليها فأعطَوه ثمنها، أقول: كان لدعبل صلات وزيارات متعددة إلى قم، وربما له في كل سنة زيارة.

وعليه، كان دعبل يجتاز بقم، فيقيم عند شيعتها، ويقسّطون له كل سنة خمسة آلاف درهم، ولا أدري ما هو وجه هذا المبلغ الذي كان يدفعه أهالي قم للشاعر؟! ربما تعلّق الأمر بالنقود ـ الدراهم ـ التي وهبها له الإمام الرضا عليه السلام، فباع الشاعرُ كلّ درهم بعشرة دراهم، أو ربما الأمر متعلق بالجبّة؛ لأنها ثمينة وصالحوه على أن يقسّطوا له كل سنة خمسة آلاف درهم.

ومرّةً ورد دعبل قم وكان له على أهلها رسم، فاتّفق أن جاءه شُعرور، فأخذ يناكده ويؤذيه، فازدرى به دعبل وزجره ـ كعادته مع المتطفّلين على الشعر أو المتشاعرين ـ وهجاه ببيتين (ابن المعتز، د. ت، ص ٢٣٥).

خاتمة البحث (النتيجة)

بعدما سبرنا الغور في مطالعة العديد من المصادر، وجدنا أنّ الشعر الذي يطالعنا في الديوان و غيره من الشعر الذي جادت به قريحة شاعرنا دعبل الخزاعي، فيه بُعد جغرافي قد شمل أرضاً واسعة من آسيا و إفريقيا؛ إذ رحل شاعرنا إلى ربوع تلك البلدان، و مرّ في أشهَر مدنها، وساهم شعراءَ تلك البلدان و الأمصار، و سجّل هناك بعض دعواته وما له من ميول تجاه أهل البيت عليهم السلام ومحبّته لهم. فجاء هذا البحث بهذا الشكل بعد استقراء شامل لعشرات المصادر.

❖❖❖

المصادر والمراجع

١. ابن عساكر، علي بن الحسين. (٢٠٠١م). ***تاريخ دمشق***. (ج ٥). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢. ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد. (١٣٤٦هـ). ***العقد الفريد***. (ج ١). القاهرة: المطبعة الأزهرية.

٣. ابن المعتز، عبد الله بن محمد. (د. ت). ***طبقات الشعراء***. القاهرة: دار المعارف.

٤. الأصبهاني، علي بن الحسين. (١٩٩٥م). ***الأغاني***. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥. الحموي، ياقوت بن عبدالله. (آ ١٩٧٩م). ***معجم البلدان***. (ج ١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦. ـــــــــــــــ (ب ١٩٧٩م). ***معجم البلدان***. (ج ٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧. ـــــــــــــــ (ج ١٩٧٩م). ***معجم البلدان***. (ج ٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٨. ـــــــــــــــ (د ١٩٧٩م). ***معجم البلدان***. (ج ٤). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩. ـــــــــــــــ (هـ ١٩٧٩م). ***معجم البلدان***. (ج ٥). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠. الخزاعي، دعبل بن علي. (١٣٨٢هـ). ***ديوان دعبل***. (تحقيق عبد الصاحب الدجيلي وعبد الكريم الأشتر). النجف: مطبعة الآداب.

١١. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١٤هـ). ***الأمالي***. بيروت: دار الثقافة.

١٢. القمي، عباس. (١٣٥٥هـ). ***سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار***. (ج ١). النجف: المطبعة العلمية.

١٣. الشريف المرتضى، علي بن الحسين. (١٩٠٧م). ***الأمالي***. القاهرة: مطبعة السعادة.

١٤. الميداني، أحمد بن محمد. (١٣٤٢هـ). ***مجمع الأمثال***. القاهرة: منشورات عبدالرحمن محمد.

١٥. العلوي، يحيى بن حمزة. (١٩٩٥م). ***الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز***. بيروت: دار الكتب العلمية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی